إرتجَاليَّة فِرسَاي

أشخاص المسرحية

موليار	:	مركيز سخيف.
بريكور	:	رجل رصين.
لاكرانج	:	مركيز سخيف.
دي كروازي	:	شاعر.
لاتوريّار	:	مركيز غضوب.
بيجار	:	خادم.
الآنسة دي بارْك	:	مركيزة متصنّعة.
الآنسة دي بري	:	مفكِّرة متغنّجة.
الآنسة موليار	:	هاجية مثقّفة.
الآنسة دي كروازي	:	لئيمة ناعمة الملمس.
الآنسة هرْفي	:	خادمة متفلسفة.

الأحداث تجري في فرساي داخل قاعة المسرح.

فصل واحد

المشهد الأول

موليار، وبريكور، ولاكرانج، ودي كروازي، والآنسة دي بارْك، والآنسة بيجار، والآنسة دي بري، والآنسة موليار، والآنسة دي كروازي، والآنسة هرفي.

موليار : (**وحده يتحدّث الى رفاقه الذين لا يزالون في مؤخّرة المسرح**).
هيّا، يا سادتي وسيداتي، ما لي أراكم تهزأون بظرفكم ولا تريدون أن تأتوا جميعكم الى هنا ؟ حصد الطاعون كل الأغبياء رُدَّ عليّ، يا سيدي بريكور.

بريكور : ماذا تريد ؟

موليار : يا سيدي لاكرانج.

لاكرانج : ماذا تقول ؟

دي كروازي : من فضلك.

موليار : أيتها الآنسة دي بارْك.

الآنسة دي بارْك : قل لي، ماذا تريد ؟

موليار : ايتها الآنسة بيجار.

بيجار : ما الأمر ؟

موليار : ايتها الآنسة دي بري.

الآنسة دي بري : ماذا تريد ؟

موليار : ايتها الآنسة دي كروازي.

الآنسة دي كروازي : ماذا ترغب ؟
موليار : ايتها الآنسة هرفي.
الآنسة هرْفي : ها أناذا.
موليار : اظن أني سأفقد عقلي حيال كل هؤلاء الأشخاص. (يدخل بريكور ولاكرانج زودي كروازي) : يا جماعة، يا سادة، ألا تردون اليوم ان تراجعوا ادواركم ؟
بريكور : ماذا تريد أن نفعل ؟ نحن لا نعرف ادوارنا. فإذا قصدت ان نراجع الآن، كيف تريد أن نقوم هكذا بأدوارنا كما يجب ؟
موليار : تباً لكم من حيوانات غريبة. كيف استطيع أن أوجّهكم كممثّلين ؟ (تصل الآنسات بيجار، ودي بازْك، ودي بري، وكذلك يصل موليار، ودي كروازي، وهرفي).
بيجار : ها نحن قد جئنا. ماذا تنوي أن تفعل ؟
الآنسة دي بازْك : بماذا تفكّر ؟
الآنسة دي بري : وما هي الغاية من استدعائنا ؟
موليار : من فضلكم، إصطفّوا هنا. وبما اننا كلنا نلبس ثيابنا المسرحية، وبما أن الملك لن يصل قبل مرور ساعتين، تعالوا نقضي هذا الوقت في التمرين على التمثيل، وهكذا نرى كيف سنتدبّر أمرنا.
لاكرانْج : كيف تريدون أن نقوم بأدوار لا نعرفها ؟
الآنسة دي بازْك : من جهتي أنا لا اتذكّر كلمة واحدة من الدور الذي يجب عليّ أن اقوم به.
الآنسة دي بري : انا على يقين بأنني أحتاج الى من يردّني في دوري من أوله الى آخره.
بيجار : وانا لا أستطيع إلّا تلاوة دوري في ورقة أُمسكها بيدي.
الآنسة موليار : وانا ايضاً.
الآنسة هرْفي : امّا أنا فليس لديّ سوى كلام قليل أقوله.
الآنسة دي كروازي : وأنا ايضاً. لكن لا أعلن أني قادرة على اداء كل ما يترتّب علي قوله.

دي كروازي : وانا أدفع عشرين فرنكاً لكي انسحب من تمثيل دوري.
بريكور : وانا أنوي أن أنسحب ولو تلقيت عشرين ضربة سوط.
موليار : ها أنتم عاجزون جميعاً عن القيام بأدواركم التي لا تعرفونها، وعليكم أن تمثلوها. فماذا كنتم تفعلون لو كنتم في مكاني انا المسؤول عنكم ؟
بيجار : من ؟ أنت ؟ انت لا خوف عليك ابداً. فلأنك ألّفتَ المسرحية لا بد من أن تتذكّر بعض الكلمات.
موليار : وهل أنا لا أخشى أن أنسى ما يجب عليّ أن أقوله ؟ انتم لا يهمّكم أمر النجاح كما يهمّني انا وحدي. وهل تظنّون ان تقديم الهزلية أمر بسيط هيّن أمام جمهور محترم كالذي نواجهه، وأن نسلّي ونُضحك اشخاصاً يكنّون لنا كل مودّة وتقدير، وهم لا يقهقهون إلّا متى شاؤوا ؟ وهل من مؤلف لا يرتجف امام مثل هذه المشكلة ؟ أوليس عليّ أنا أن أردّد أني أودّ أن أنجح لقاء ما يفرضه عليّ العالم من تضحيات ؟
بيجار : اذا كان هذا الأمر يجعلك ترتجف، عليك أن تحتاط لكل الاحتمالات وأن لا تتعهد في مدة ثمانية أيام بإنجاز ما قبلت أن تقوم به الآن.
موليار : وكيف لي أن لا أوافق عندما يطلب الملك مني ذلك ؟
بيجار : كان عليك أن تعتذر بلباقة، وحجّتك أن الأمر مستحيل إعداده في هذه البرهة الوجيزة التي حُدِّدت لك. فإن سواك في محلك، يحسب حساب ما تؤول اليه سمعته إن أخفق ولم يتمكّن من إحراز النجاح المرغوب، خلافاً لما تسرّعت وقبلت به. ارجوك ان تقول لي الى اين ستتدحرج مكانتك اذا لم توفّق الى ما آليت به على نفسك ؟ وماذا سيكون موقف اخصامك من فضلك ؟
الآنسة دي بري : في الواقع، كان عليك أن تعتذر للملك، أو أن تطلب منه تمديد المهلة المحدّدة.
موليار : يا الهي. إعلمي، يا انستي، ان الملوك لا يحبّون عدم الاستجابة حرفيّاً لرغباتهم والخضوع لإرادتهم وهم لا يعترفون بوجود العقبات أمام تحقيق مطاليبهم. ولا ينظرون الى الأمور بعين الرضى إلا اذا تمّت في الأوقات التي يتمنونها. واذا فرض عليهم تأجيل موعد تأمين تسليتهم مع حاشيتهم،

هناك الطامة الكبرى. فهم يرومون مشاهدة ما يسلّيهم في الأوقات التي تناسبهم. وكلّما روعيتْ تلبية مشيئتهم في حينها، ولو بدون استعداد كافٍ، كلما ازداد إعجابهم بما نقدّمه لهم من ترفيه. وهكذا لا يسعنا إلا أن نتقيّد بظروفنا حتى غير الملائمة في سبيل ارضائهم. وحين يطلبون منا القيام بما نتوق نحن اليه، علينا أن نبادر الى استجابة رغبتهم لكسب رضاهم. لذلك يجب علينا أن نقوم بما تعهّدنا به ولو غير متقنٍ كما نتمنى. وإن خشينا أن لا ننجح تماماً في تأديّة عملنا فذلك أفضل لنا، لأننا مع ذلك نقطف غار المجد بمجرّد خضوعنا لأوامرهم التي يجب أن تطاع. والآن تعالوا نراجع ادوارنا، من فضلكم.

الآنسة دي كروازي : كيف تريد أن نتصرّف اذا كنّا لا نحفظها ؟

موليار : أؤكد لكِ، انكم ستعرفونها. حتى إن لم تحفظوها كلها كما يجب، ألَا تستطيعون أن تسدّوا الفراغ في اذهانكم بما أنكم ستُلقون أدواركم نثراً لا شعراً، وأنتم مطّلعون على تفاصيل الموضوع.

بيجار : انا في خدمتك. لكن النثر أصعب عليّ من الشعر، كما تعلم.

الآنسة موليار : هل تسمح لي بأن أصارحك ؟ كان عليك أن تعدّ هزلية تقوم أنت بمفردك بدورها الأوحد.

موليار : أصمتي، يا امرأتي، لأنك جاهلة.

الآنسة موليار : شكراً جزيلاً على هذا الثناء، يا زوجي العزيز. هذا ما خبّأه لي الزواج الذي كثيراً ما يبدّل الناس. لكنك لم تكن لتخصّني بهذا النعت الحقير منذ ثمانية عشر شهراً قبل أن نتزوج.

موليار : ارجوكِ ان تسكتي.

الآنسة موليار : أمر غريب أن تصل بنا حفلة بسيطة الى ازالة جميع صفاتنا الحميدة عنّا، وان ينظر اليّ زوجي اللّبق بعينين مختلفتين كليّاً عمّا أَلِفْته منه.

موليار : ما هذا الخطاب الرنّان.

الآنسة موليار : بذمّتي، لو كتبت أنا هزلية سأجعلها تدور حول هذا الموضوع بالذات، وأبرّئ عدداً كبيراً من الزوجات من كل التهم التي تُوجّه اليهنّ،

وسأبيّن المعاملة السمجة التي يخصّهنّ بها ازواجهنّ عوضاً عن اللياقة المرغوبة.

موليار : دعونا الآن من هذا الجدل العقيم، فليس وقته في هذه الساعة الحرجة. لأن لدينا اموراً اخرى لا بد لنا من إنجازها.

بيجار : بما أن عملاً معيّناً قد طلب منا، دعْنا نصبّ جهودنا على الانتقاد الذي وُجِّه اليك على عدم كتابتك هزلية عن الهزليين الذين كثيراً ما حدّثتنا عنهم مطوّلاً. هذه المسألة تأتي الآن في حينها، وتناسب هذا الطرف العسير بصورة أوْلى خاصة أنك تودّ أن ترسم شخصيّتك، والفرصة سانحة لترسم شخصياتهم هم أيضاً، وتدعو ذلك رسم صور الشخصيّات على علّاته كما يريدون أن يروا صورتك أنت للتنكيت عليها، إذ أن تقليد الشخصية المضحكة في دور هزلي يأتي في الحقيقة كرسم شخصية الممثل ذاته إسماً على مسمّى. كذلك يأتي رسم شخصياتهم بألوانها الزاهية أو الباهتة كما يتسنى لك أن تصوّرها في لوحات اخلاقهم السخيفة التي نقلّد بها شخصياتهم حسب طبيعتهم. لكن تقليد الممثل الهزلي في أدوار رصينة هو تصويرها حسب عيوب أصحابها كما يراها الممثل نفسه، رغم أنهم لا يعبجهم أن يبصروا ذواتهم على حقيقتها الواقعية بما تنطوي عليه من نقائص وسخافات ملحوظة.

موليار : هذا صحيح. لكن لديّ اسباباً تضطرني الى عدم تنفيذ رغبتي هذه حالياً. ولا أظن ان هذا العمل يستحق المغامرة. فضلاً عن أن الفكرة بحدّ ذاتها يقتضي تنفيذها وقتاً أطول لإعدادها بشكل مقبول. وبما أن ايام هزليّتهم هي ايام هزليّتنا عينها، لم يتيسّر لي أن أراهم بوضوح لكي أدرسهم بطريقة أوْلى وأعمق، إذ لم أتمكن من رؤيتهم منذ جئنا الى باريس سوى ثلاث أو أربع مرات فقط. لذا لم أحفظ من أسلوب حديثهم وتحرّكهم سوى ما لفت انتباهي فوراً. وأنا بحاجة الى دراسة أوسع لأُحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم وكيفيّة تخاطبهم، كي تجيء صورهم أقرب ما يمكن الى واقعهم الغريب العجيب.

الآنسة دي بارْك : بالنسبة اليّ لقد حفظت بعض التفاصيل التي قدّمتها لي.

الآنسة دي بري : انا لم اسمعك تتكلم عنهم.

موليار : هذه فكرة مرّتْ يوماً بخاطري، وقد أهملتها كأمر تافه أو مزاح سمج، ربما لا يستدعي الضحك.

الآنسة دي بري : حدّثني عنهم قليلاً، بما أنك وصفتهم لسواي.

موليار : ليس لدينا الآن الوقت اللازم.

الآنسة دي بري : قل لي كم كلمة فقط.

موليار : لقد فكّرت في هزلية تضمّ شاعراً نويت أن أمثّل دوره انا بذاتي. فقد جاء يوماً ليقدّم مسرحية الى فرقة تمثيلية أقبلتْ حديثاً من الأرياف. وسألني : هل لديك ممثلين وممثلات أهل لأن يبرزوا محاسن عمل ادبي ؟ لأن مسرحيّتي الممتازة فريدة من نوعها. فأجابه الممثلون : نحن رجال ونساء مشهود لنا بمقدرتنا حيثما ذهبنا. فسأل : ومَن منكم يمثّل دور الملوك ؟ فأجبته : هذا ممثل يجيد نظير هذه الأدوار أحياناً . فسأل أيضاً : ومن تعني ؟ أهذا الرجل الهزيل الجسم ؟ أتريد أن تهزأ بي ؟ لا بد من شخص طويل القامة ضخم الجسم ليقوم بدور الملك. ولا بد من أن يكون منتفخ البطن عريض الكتفين، كما يليق بالعاهل أن يكون، ليملأ العرش حين يجلس عليه بأفضل صورة ممكنة. لا بد من أن تفهمني جيداً. فالملك يجب أن يتحلّى بقامة مديدة. وهذا أول نقص ألاحظه في ممثّلك المقترح. والآن دعني استمع اليه، وهو يلقي على الأقلّ عشرة اشعار. هنا بادر الممثل الى إلقاء بعض الأبيات من مسرحية نيقوماد :

ألم أقل لك يا أراسْبْ أنه خدمني بعد أن وسّع بسط سلطتي.

وذلك بلهجة طبيعية للغاية حسب امكاناته الفنيّة. فما كان من الشاعر إلا أن صاح : هل تعتبر هذا إلقاءً ؟ لقد شوّه الأشعار. يجب عليه أن يلقيها بأبهة. إسمعني كيف أُلْقيها أنا. (وقلّد « مون فلوري » الممثّل الممتاز الذي يعمل في قصر بوركوني. ثم أضاف : هل لاحظت هذا الموقف ؟ تمعّن جيداً بذلك. هنا لا بد من أن تُبرِز البيت الأخير من الشعر. فبهذا تنال الاستحسان وتحرّض الجمهور على التصفيق. لكن، يا سيدي — اجاب الممثل — يخيّل اليّ أن ملكا يخاطب وحده قائد حرسه، يتكلم بصورة اكثر انسانية، ولا يلجأ الى هذه اللهجة المستهجنة. — اراك لا تعرف ما يجب عمله. تابعْ إلْقاءك كما فعلت، وسترى اذا كنت قادراً على استدرار أي اعجاب. والآن لنتفحّص دور « عاشق وحبيبته ». هنا بادرتْ إحدى الممثلات، وتبعها أحد الممثلين، للقيام معاً بتقديم مشهد كميل وكورْياس :

الآنسة دي كروازي : « هل تمضين أيتها الحبيبة العزيزة، وهل تفضّلين هذا الشرف الكئيب على كل ما تفاخرين به من خصال حميدة ؟ واأسفاه. انا ارى الامور بكل وضوح ... الخ. » وقد أبدى كلاهما مقدرة وطبعيّة مشكورتين حسب استطاعتهما. فاعترض الشاعر حالاً : « هل تهزأون بي ؟ إنهما لم يأتيا بما يستحق التقدير. هكذا، كان عليهما أن يلقيا ما قالاه كلاهما ». (يقلّد الآنسة بوشاتو الممثلة في قصر بوركوني) :

« هل تمضين ايتها الحبيبة العزيزة ... لا، أنا أعرفك جيداً ... ».

هل رأيتم كيف جاء إلقائي طبيعياً مشوّقاً ؟ « ألا اعجَبُوا بمحيّاها هذا الباسم، وهي تحافظ عليه رغم ما تنوء تحته من وقر المصائب ». هذه هي الفكرة التي أُلحّ على ظهورها في جميع من أجنّدهم من الممثلين والممثلات.

الآنسة دي بري : اجد هذه الفكرة مرضية، وقد لاحظتها منذ أول بيت شعر. ارجوك أن تواصل.

موليار : (يقلّد بوشاتو الممثل المعروف، في مقطع من مسرحيّة « السيّد »)

« لقد اخترق صميم فؤادي ... الخ ».

وهل لك أن تتعرّف اليه في دور بومبيّي في مسرحية « سرتوريوس » ؟ (يقلّد ايضاً الممثل « هُوت روش »).

« الصداقة التي تسود الفريقين، لا تشرّف كثيراً ... الخ ».

الآنسة دي بري : هنا اتعرّف اليه قليلاً. ولكن بينهم شخصاً يصعب عليك أن تحذو حذوه.

موليار : يا إلهي. ليس هناك من نستطيع أن نتشبّث به في أي موضوع، لو تسنىّ لي أن ادرسه جيداً. لكنكم تضيّعون الآن الوقت الغالي بالنسبة الينا جميعاً. دعونا نفكّر في أنفسنا. ارجوكم أن لا تجعلونا نتلهّى اكثر مما فعلنا في إطالة الحديث بدون جدوى (يخاطب لاكرانج) إجتهد ان تقوم إزائي بدورك في شخص المركيز.

الآنسة موليار : دائماً ادوار المركيز.

موليار : نعم، دائماً ادوار المركيز. مَن تريدين ان نتّخذ من اشخاص لتقييم الاخلاق على المسرح ؟ فالمركيز حالياً هو الشخص الذي ينال الاعجاب اكثر من سواه في الهزليات. وبما أن في كل المسرحيات القديمة نرى دائماً خادماً يُهرّج ويُضحك المشاهدين، هكذا في كل مسرحيات ايامنا الحاضرة لا بد من

وجود مركيز سخيف يضحك الجمهور ببلادته.

بيجار : في الحقيقة لا سبيل الى الاستغناء عنه.

موليار : والآن، تفضّلي، يا آنستي ...

الآنسة دي بارْك : يا الهي. أنا لا أتمكّن من القيام بدوري كما يجب. ولست أدري لماذا أسندت اليّ شخصية المرأة المتصنّعة

موليار : بل يا الهي أنا. ارجوك، يا آنستي، ان تعودي الى ما طُلب منك من انتقاد مسرحية « مدرسة الزوجات » الأمر الذي قمت به خير قيام، وأجمع الكل على ان ما أدّيته من القاء لا يتسنى لأحدٍ سواك أن يؤدّيه بطريقة أولى. صدقيني، انك ستُبْدعين في هذه المسرحية ايضاً وستقومين بدورك بصورة افضل ممّا تأملين.

الآنسة دي بارْك : وكيف يمكن أن يتفوّق عليّ إنسان، وليس في الدنيا مَن يتقن التصنّع اكثر منّي ؟

موليار : هذا صحيح، ويجعل منك ممثلة ممتازة لا تُجارى. لأنك تحسنين تمثيل الشخصية مهما ناقضت طبيعة مزاجك. أرجوك اذاً أن تتخيّلي كل المقوّمات الخلقيّة التي ينطوي عليها دوركِ، وان تتقمّصي واقع الشخصية التي تمثّلينها. (لدي كروازي) أنت ستقوم بدور الشاعر، وعليك أن تجسّد هذه الشخصية وتتظاهر بما يميّز هذا المتحذلق الذي يتباهى باحتكاره أجمل ما في الكون من احاسيس وان تقلّد نبرة صوته الجهوري الرنّان ودقّة لفظه وإلقائه وتوقّفه عند كل كلمة يتفوّه بها من شأنها أن تسترعي انتباه سامعيه وتستدرّ إعجابهم بدون أن يدع أيّة هفوة أو شائبة تقلّل من أهمية كلامه. (لبيركور) أمّا أنت، فعليك أن تمثل دور الرجل الشهم الشريف كما فعلت في دورك أثناء انتقاد « مدرسة الزوجات » أي يجب عليك أن تتّخذ موقفاً رصيناً حازماً، وطبقة صوت طبيعية معتدلة، على أن تقلّل من حركات يديك بقدر المستطاع. (للاكرانج) انت ليست لديّ اية ملاحظة أُلفت انتباهك اليها، لأني واثق كل الثقة بأنك ستقوم بدورك خير قيام. (للآنسة بيجار) أنتِ ستمثلين دور إحدى هؤلاء النساء اللواتي، عندما لا يغازلن الرجال، يعتقدن ان كل ما عدا ذلك مسموح به ولا غبار عليه. هؤلاء النساء اللواتي لا يتساهلن ابداً في ما يخصّ

تزمّتهن، فينظرن الى محيطهنّ نظرة استعلاء وشموخ، ويعتبرن ان كل ما تتحلى به غيرهنّ من فضائل لا تذكر بالنسبة الى ما يملتكنه ويتشبّثن به من خُلُقٍ وشرف لا يأبه له المجتمع الذي تعشن في كنفه. عليك أن تضعي هذا الطبع الغريب نصب عينيك وتلتزمي بتصنّع حركاتك كيفما تصرّفتِ. (للآنسة دي بري) اما أنتِ عليك أن تقومي بدور احدى هؤلاء النساء المرائيات اللواتي يتمسّكن بمظاهر الفضيلة شرط أن لا يؤخذن متلبّسات بذنوبهنّ كي لا يُثِرن حولهم الشبهات وهنّ يُصرِرْن على جعل أمورهن تسير بهدوء مهما حامتُ حولهنّ الظنون والأقاويل، لأنهنّ يعتقدن بأن الخطيئة لا تكمن إلّا في الفضيحة التي يجتهدن ان يتحاشينها حرصاً على صيانة سمعتهنّ ولو ظاهرياً، وهنّ يسمّين أصدقاءَ مَن يعتبرهم الآخرون عشاقاً. وأنتِ خير من يقوم بإبراز هذا الطبع المزدوج الخبيث. (للآنسة موليار) وانتِ ستمثلين الدور ذاته الذي قمت به في الانتقاد، وليست لديّ أية ملاحظة أبديها لك، لأني واثق ملء الثقة بمقدرتكِ أنتِ ايضاً. (للآنسة دي كروازي) وأنتِ ستقومين بدور إحدى هؤلاء السيدات اللواتي يمِلْن الى أعمال البر والاحسان حيال كل الناس، وبالحري هؤلاء النساء اللواتي يلقين كلمة غمْز (على الماشي) ويتضايقن بل يتألمن عندما يقال لهن انهن يغتبْن قريبهنّ. وانا على يقين بنجاحك في مثل هذا الدول الذي يلائمك. (للآنسة هرفي) أما أنتِ فتجسّدين نموذج المتفلسفة التي تشترك من حين الى آخر في الحديث وتكرر، كما يتسنى لها، تعابير معلّمتها. ــ ها قد وصفتُ لكل واحدة منكن ما يناسبها وتجيده من الأدوار التي تنطبق أكثر ما يكون على نفسيّتها. والآن، هيّا بنا نراجع أدوارنا لنرى كيف سيدور مجرى الحديث فيما بيننا. ولكن، ها هوذا الإنسان المزعج قد أقبل. ولم يكن ينقصنا إلّا حضوره الى هنا في هذا الوقت بالذات ليلهينا عن القيام بعملنا.

المشهد الثاني

لاتوريّار، وموليار، الخ.

لا توريّار : نهارك سعيد، يا سيدي موليار.

موليار : انا في خدمتك، يا سيدي. (على حدة) حملتْه الأبالسة الى الجحيم.

لا توريّار : كيف حالك.

موليار : الحمد لله. وبماذا يمكنني أن أخدمك ؟ (للممثلات) يا آنساتي، لا ...

لا توريّار : انا قادم من مكان لم أَقُلْ فيه عنكم إلّا كل كلمة خير.

موليار : اشكرك جداً على لطفك. (حصدك الطاعون). (للممثلين) ارجوكم ان تنتبهوا الي ...

لا توريّار : هل تقومون اليوم بتقديم مسرحية جديدة ؟

موليار : نعم، يا سيدي، (للممثلات.)لا تنسَيْنَ ...

لا توريّار : هل طلب الملك منك إعدادها ؟

موليار : اجل، يا سيدي. (للممثلين) من فضلكم، فكّروا في ...

لا توريّار : ما هو عنوانها ؟

موليار : ماذا قلت، يا سيدي ؟

لا توريّار : سألتك ما هو عنوانها ؟

موليار : أؤكد لك أني لا أعرف. (للممثلات) يجب عليكنّ أن ...

لا توريّار : كيف ستكون ألْبستكم ؟

موليار : كما ترى.)للممثلين) ارجوكم ان ...

لا توريّار : متى ستبدأون بها ؟

موليار : عندما يأتي الملك. (على حدة) ما أغلظ هذه الأسئلة.

لا توريّار : ومتى تظنّ أنه سيجيء ؟

موليار : خنقني الطاعون، يا سيدي، إن كنتُ أعلم متى.

لا توريّار : هل حقّاً لا تدري ؟

موليار : أؤكد لك، يا سيدي، إني أَجْهَلُ انسان على وجه الأرض. أُقسم لك

أني لا أعرف شيئاً مما تستفهم عنه مني. (على حدة) أكاد أختنق. هذا الدخيل، بل هذا الغبي، قد أتى ليطرح عليّ ببلادة ٍ كل أسئلته هذه، وهو لا يبالي بأن لديّ اشغالاً ملحّة يلهيني عن انجازها.

لا توريّار : انا في خدمتكنّ، يا آنساتي.

موليار : جميل سجداً. ها هو يلتفت الى سواي لإضاعة وقتنا.

لاتوريار (**للآنسة دي كروازي**) : أنت لطيفة وجميلة كملاك صغير. (ينظر الى الآنسة هرفي) : هل تمثّلان اليوم كلاكما معاً ؟

الآنسة دي كروازي : اجل، يا سيدي.

لا توريّار : هل تعلمين بأن المسرحية بدون دورك ِ لا تساوي كثيراً ؟

موليار (**للممثلات بصوت خافت**) : هل من سبيل الى صرف هذا الرجل من هنا ؟

الآنسة دي بري (**للاتوريار**) : يا سيدي، ارجوك أن تأخذ علماً بأننا مجتمعون ها هنا لنراجع ادوارنا إستعداداً لتقديم المسرحية.

لا توريّار : بذمّتي، أنا لا أريد أن أؤخركم عن عملكم. يمكنكم أن تتابعوا ما باشرتموه.

الآنسة دي بري : ولكن ...

لا توريّار : لا، لا. لا اريد أن أضايق أحداً. تصرّفوا أمامي بكل حرّيّة.

الآنسة دي بري : ولكن، كيف ؟

لا توريّار : انا رجل لا أبالي بالرسميّات، كما قلت لكم، وباستطاعتكم ان تراجعوا ادواركم حسبما يروق لكم.

موليار : يا سيدي، يصعب على هؤلاء السيدات ان قلن لك انهن يتمنّيْن ان لا يكون احد حاضراً هنا، إن أمكن، حين يراجعن ادوارهنّ.

لا توريّار : ولماذا ؟ لا حرجَ علي من ذلك مطلقاً ولا ازعاج.

موليار : يا سيدي، هذه عادة يتمسّكْن بالمحافظة عليها. وأظن أنك ستُسرّ بمشاهدتهنّ عندما تراهنّ على المسرح يمثلن ادوارهنّ بصورة اكثر إتقاناً.

لا توريّار : هذا يعني أنكم غير مستعدات كفاية، على ما أرى.

موليار : بل قل لسنا على استعداد بتاتاً، يا سيدي. فأرجوك أن لا تستبق الأمور.

المشهد الثالث

موليار ولاكرانج، الخ.

موليار : ما هذا العالم الحافل بالفضوليّين المرهقين. وعلينا الآن أن نبدأ. تصوّروا أوّلاً ان المشهد يجري في مدخل حجرة الملك حيث تتمّ كل يوم أمور مسلّية. إذْ من السهل استقدام اي شخص كان الى هناك عند الاقتضاء، حتى أني لا أجد مانعاً من إحضار النساء اللواتي ارغب في اصطحابهنّ الى ذاك المكان المحظور. وعلى هذا الاساس تُفتتح الهزلية بوجود مركِزَيْن في المدخل المذكور. (للاكرانج) تذكّرْ جيداً بضرورة مجيئك، كما قلت لك، بهندام لائق حسب عادات القصر، بعد أن ترتّب شعرك المستعار، وانت تدمدم أغنية معروفة : « لا، لا، لا. لا، لا، لا ». وانت عليكم أن تَصطفّوا الى جانبه. اذ لا بدّ من تأمين الأبّهة بحضور المركيزين، وهما شخصيتان بحاجة الى صحبة لا بأس بها، وبجوّ يوحي بالإحترام والإكرام. هيا باشروا.

لاكرانج : « نهارك سعيد، ايها المركيز ».

موليار : يا الهي. هذه ليست ابداً لهجة تليق بمركيز، عليك أن ترفع صوتك وتفخّمه. لأن أغلب هؤلاء السادة المرموقين يتكلّمون بطريقة خاصة لكي يترفّعوا عن عامة الناس. كرّر اذاً « نهار سعيد، ايها المركيز » بلهجة مناسبة.

الآنسة دي كروازي : « نهارك سعيد، ايها المركيز ».

موليار : « انا في خدمتك » ...

لاكرانج : « ماذا جاء بك الى هنا ؟ »

موليار : « بذمّتي، كما ترى، اني انتظر أن يُخلي جميع هؤلاء السادة لي الطريق كي أصل الى الباب وأتمكّن من إثبات وجودي هنا ».

لاكرانج : « يا للعجب. ما هذا الجمع الغفير ؟ أنا لا أريد أن أزاحم احداً، وافضّل أن أكون آخر الداخلين، حين يتاح لي ذلك ».

موليار : « هنا ما لا يقلّ عن عشرين شخصاً لا يرون كيف يمكنهم الدخول وهم لا يكفّون عن التزاحم وعن شغل الممرّات المؤدّية الى الباب ».

لاكرانج : « علينا أن نصرخ بأعلى صوتنا ونُبلغ الحاجب إسمينا بصوت مرتفع لكي يعجّل لنا استدعاءنا الى الداخل ».

موليار : « هذا يلائمك. أمّا أنا فلا أريد أن يقلّدني موليار في إحدى هزلياته ».

لاكرانج : « أظنّ أيها المركيز، أنه قلّدك في مسرحيّته « الإنتقاد ». ».

موليار : « انا ؟ انا لست سوى خادمك. إنه قلدك أنت شخصياً بالذات ».

لاكرانج (**يضحك**) : « ها، ها، ها. هذا حقاً غريب جداً ».

موليار (**يضحك**) : « ها، ها، ها. فعلاً هذا مضحك للغاية ».

لاكرانج : « اراك تصرّ على نفي ما تمّ من تقليد شخصيتك في تمثيل دور المركيز من خلال مسرحيّة « الانتقاد ».

موليار : « هذا صحيح. لقد تعرّض لشخصي. ولا شك في أنه قصد التكلّم عنّي ».

لاكرانج : « بذمّتي. في الحقيقة، لقد قصدك أنت. ولا يسعك الإنكار. وأنا مستعدّ لأن اراهن على ذلك، وسنرى من منا يكون الحقّ الى جانبه ».

موليار : « وعلى ماذا تريد أن تراهن ؟ »

لاكرانج : « على مئة فرنك، أنّه قصدك انت ».

موليار : « وأنا اراهن على مئة فرنك انه بالأحرى قصدك أنت بالذات ».

لاكرانج : « رهاني على مئة فرنك نقداً ».

موليار : « طبعاً نقداً : منها خمسة وتسعون فرنكاً من حساب آمينْتاس، وعشرة فرنكات نقداً مني ».

لاكرانج : « انا موافق ».

موليار : « هكذا تمّت الصفقة ».

لاكرانج : « ان دراهمك تتعرّض لخطر جسيم ».

موليار : « وكذلك مالك يقتحم مغامرة غامضة ».

لاكرانج : « لمن نلجأ كي يحلّ لنا هذه المعضلة » ؟

المشهد الرابع

موليار وبريكور ولاكرانج الخ.

موليار : « ها هوذا رجل مستعدّ لأن يحكم فيما بيننا، أيها الفارس ».
بريكور : « ماذا تقول » ؟
موليار : هذا رجل آخر يتكلّم بلهجة المركيز. ألم اقلْ لك أن دورك يتطلّب منك أن تتحدث بطبعيّة ؟
بريكور : هذا صحيح.
موليار : هيّا اذاً، « ايها الفارس ».
بريكور : « ماذا تقصد » ؟
موليار : « أحكم بيننا على اساس رهانٍ ارتبطنا به ».
بريكور : « اي رهان » ؟
موليار : « لقد تناقشنا في موضوع المركيز الذي قلّده موليار في مسرحيته « الانتقاد » ومن يكون هذا المركيز. والرهان هو على مَنْ منّا ينطبق الدور الذي مثّله، هل عليّ أنا أم عليه هو » ؟
بريكور : وانا أحكم انه لا عليك ولا عليه. فأنتما كلاكما مهووسان، اذ تريدان أن ينسب إحدكما الى الآخر مثل هذه الأمور الغريبة عنكما. فقد سمعت ذاك اليوم أشخاصاً ينسبون اليك ما تنسبه أنت الآن اليه، وقال أن لا شيء يزعجه نظير إتهامه بأنه يقصد شخصاً معيّناً في الصُوَر التي يرسمها عادةً. لأنه يرمي الى رسم الأخلاقيات عامّةً بدون أن يقصد شخصيات معيّنة، وان جميع الأشخاص التي يصوّرها تمثل افراداً لا وجود لهم في الواقع، وان الاشباح التي يُلبسها أهواءه هي لتسلية المشاهدين ليس إلّا، وأنه سيحنق إن نسب اليه أحد غاية غير التي يهدف اليها، وان ما سيدفعه الى الاقلاع عن كتابة الهزليات هو التشبيه الذي تنسبه اليه كما يستنتج ذلك اخصامه الخبثاء،

لكي يثبتوا عليه هذه الفكرة البغيضة ويسيئوا الى سمعته لدى بعض الناس الذين لم يفكّر في دخولهم بمثل هذه المواضيع الشائكة. وانا فعلاً أجد أن الحق كل الحق الى جانبه. ارجوكم أن تقولوا لي لماذا يصرّح بصوت مرتفع ان فلاناً يقلّد شخصية هذا أو ذاك، بينما ما يفعله يمكن أن ينطبق على مئة إنسان. نظير قضية الهزلية التي تمثل عامةً جميع نقائض البشر، وبنوع أخصّ اشخاص عصرنا الحاضر. اذاً يستحيل على موليار أن يرسم طباع اشخاص لا وجود لهم في اية بقعة من بقاع الأرض. واذا اضطررنا الى إتهامه بأنه يُفكّر في ذلك من خلال جميع الاشخاص الذين يرسم عيوبهم، لتحتّم عليه أن يكفّ عن تأليف الهزليات.

موليار : « بذمّتي، ايها الفارس، أؤكد لك أنك تقصد أن تبرّئ ساحة موليار وتسعى الى ابعاد التهمة عن صديقنا الحاضر ها هنا ».

لاكرانج : « كلا ثم كلا. أنت تريد أن يتجنّبك، وسنجد حَكَماً آخر يفصل بيننا ».

موليار : لنسلّم بذلك. لكن، قل لي، أيها الفارس، ألا تعتقد بأن موليار قد أفرغ جعبته الآن وأنه لن يلاقي بعد اليوم أي موضوع لمعالجته.

الآنسة دي كروازي : « ألم يعد لديه اي موضوع آخر ؟ لا بد لنا، ايها المركيز المسكين، من أن تؤمّن له على الدوام عدداً من امثاله، ونحن لا نريد أن نساير هذا الرجل العاقل الحكيم في كل ما يقول ويفعل ».

موليار : مهلاً، مهلاً. لا بد لنا من أن نتفحّص قليلاً ما يقوله صاحبنا : « انه لا يجد ابداً موادّ ... » يا ايها المركيز المسكين، سنجد له نحن نماذج كافية لكي يسلك طريق التعقّل في كل ما يقول ويفعل. وهل استنفد في هزلياته كل سخافات البشر ؟ وبدون أن نخرج من البلاط، أليس أمامه عشرين مزيّة من طباع الناس لم يتناولها بعد بتشريحه وتجريحه ؟ أوليس لديه من يطلبون صداقة الجميع وحين يديرون ظهورهم يتسابقون في ميدان المنافسة لتمزيق بعضهم بعضاً ؟ أوليس لديه كل المخادعين في مجال الاغراء وكل المتملّقين المنافقين الذين لا لون لهم ولا مذَاق ؟ هؤلاء الذي يضيفون المرّ والحلو الى مواضيعهم الباهتة التي تدمي قلوب من يقصدون إيذاءهم وإيلامهم، لانهم لا

يصغون الى اقوالهم ؟ أوليس لديه هؤلاء الجبناء المتزلفون الذين يبحثون عن اقتناص الغنائم، وهؤلاء الذين استعبدهم المال وتحكّمت بهم شهوة الثروة وهم يحرقون البخور أمام من أنعم عليهم الحظ بالازدهار، وانتزع من صدورهم عاطفة الشفقة والرحمة ؟ أوليس لديه جميع من ينقمون على البلاط الملكي والأتباع النفعيّين الذين يعفّرون جباهم على أعتاب المتنفّذين وهم عديدون يترقبون الفرص لتأدية اية خدمة ترضي البعض طمعاً بالمكافأة الممنوحة لمن أرهقوا الأمير مثلاً طوال عشرة أعوام ؟ أوليس لديه ايضاً من يسايرون الجميع وهم يتباهون بما يتلقونه من ثناء وإطراء وإمعان في المديح، يميناً ويساراً، ويمشون في ركاب المتزلفين والمتوسلين للحصول على بعض الصداقات، ولا يحجمون عن ترديد : « انا أضع نفسي في تصرفك. ــ انا خادمك الأمين. ــ اعتبرني من أخلص أتباعك، يا سيدي. ــ إعتبرني من أوفى اصدقائك، يا عزيزي. ــ انا مسرور جداً بمعانقتك، يا صديقي. ــ أرجوك أن تجود عليّ بلجوئك الى خدماتي. ــ كن على ثقة بأني لك بكلّيتي. ــ انت الرجل الوحيد الذي احترمه وأكرمه في هذه الدنيا. ــ ليس في العالم إنسان أُوَقِّره اكثر منك على هذه الأرض. ــ استحلفك أن تصدّق ما اقوله لك. ــ ألتمس منك أن لا تشكّ بصدق كلامي. ــ انا من أوفى انصارك وأخلص خدّامك. الخ. الخ. » ألا أعلم، ايها المركيز، ان لدى موليار نماذج لا تُحصى من هؤلاء المتسوّلين، وان ما تحدّث عنه في مسرحياته الى الآن، لا يعدو كونه جزءاً زهيداً مما يبصره من شتّى معايب المجتمع. في الحَقيقة، على هذا النمط يتحتّم أن يكون التمثيل وإلّا فلا.

بريكور : هذا يكفي.

موليار : يمكنك أن تتابع قولك.

بريكور : « ها هما كلامين وايليز ».

موليار (**للآنستين بارك وموليار**) : هكذا يمكنكما أنتما أن تتصرفا (للآنسة دي بارك) كوني على حذر، وهزّي رِدْفَيْكِ كما تشائين، وتصنّعي الحركات التي تروق لك. أنا أعرف أن هذا سيغيظك قليلاً. لكن ما العمل ؟ لا بد للانسان في بعض الحالات من أن يلجأ الى العنف، وإن لم يكن من طبعه.

الآنسة موليار : « هذا لا شك فيه، يا سيدتي. فقد عرفتك من بعيد، وعلمت من حركاتك انك لا تستطيعين ان تظهري على غير حقيقتك.
الآنسة دي بازْك : « انا هنا انتظر خروج رجل تربطني به قضيّة اريد أن اعالجها نهائيا ».
الآنسة موليار : « وانا كذلك ».
موليار : سيداتي، هذه صناديق يمكنكنّ أن تستعملنها كمقاعد لترتحن عليها بعض الوقت.
الآنسة دي بازْك : هيّا اجلسي من فضلك، يا سيدتي.
الآنسة موليار : بعد أن تجلسي أنتِ، يا سيدتي.
موليار : حسناً، عَقِبَ هذه الرسميات واللياقات، كل واحدة منكن ستستقلّ مقعداً وتتكلّم وهي جالسة. ما عدا المركزَيْن اللذَيْن سيقفان تارة ويجلسان طوراً حسب اضطرابهما الذي اجده طبيعيّاً. « ارجوك، ايها الفارس، ان ترتّب هندامك ».
بريكور : « كيف » ؟
موليار : « انك ترتدي بدون اصول ».
بريكور : « لقد سَرَتْ اليّ عدوى فوضى المجون.
الآنسة موليار : « يا الهي. كم أجدكِ، يا سيدتي، مخطوفة اللّون، متجهمة الوجه، وشفتاك بلونٍ ناري عجيب.
الآنسة دي بازْك : « ماذا تقولين، يا سيدتي ؟ لا تنظري الي ابداً. فأنا لست أدري لماذا أبدو اليوم هكذا في غاية القباحة.
الآنسة موليار : ارفعي، يا سيدتي، شعرك قليلاً.
الآنسة دي بازْك : « تبّاً لك من ملاحظ. اراني الآني فظيعة الطلعة الى حدّ أني أرْعبت نفسي، حين تطلّعت الى المرآة.
الآنسة موليار : « لا بل بالعكس، أجدكِ رائعة الحسن.
الآنسة دي بازْك : « أبداً، أبداً.
الآنسة موليار : « تعالي الى هنا لنراك جيداً.
الآنسة دي بازْك : « تبّاً لكِ. ارجوكِ ان لا تسخري مني.

الآنسة موليار : « من فضلك.
الآنسة دي بازْك : « يا الهي. ماذا تقولين ؟
الآنسة موليار : « اجل، اجل.
الآنسة دي بازْك : « انت تدفعينني الى حافة القنوط.
الآنسة موليار : « مهلاً. انتظري برهة.
الآنسة دي بازْك : « لماذا ؟
الآنسة دي كروازي : « يا الهي. كم أنت غريبة التصرّف، إذ تصرّين على ما تريدين الوصول اليه.
الآنسة موليار : « يا سيدتي، أحلف لك أن ليس من صالحك أن تكشفي عن خفاياكِ في رابعة النهار. فالألسنة الطويلة تدّعي انك حتماً تتبرّجين حين لا تلزمك اية زينة. وها أنت الآن تكذّبين هذه الأقاويل.
الآنسة دي بازْك : « يا للأسف، أنا لا أفهم ماذا تقصدين بالتبرّج ... لكن الى أين يذهبن هؤلاء السيدات ؟

المشهد الخامس

الآنسة دي بري، والآنسة دي بارك، الخ.

الآنسة دي بري : « هل تُردْنَ، يا سيداتي، أن اتحفكنّ بأروع نبأ يسرّكن ؟ ها هوذا السيد ليزيداس يُعْلمنا بأن مسرحية قد كتبت للتهجم على موليار، ويقوم بتقديمها للجمهور كبار الممثلين.
موليار : « هذا صحيح، وقد شاء مؤلفها أن يقرأها لي، وهو المدعو بر ... برو ... بروسو.
دي كروازي : « يفيد الاعلان عن تقديمها ان اسمه بورسو. لكن، في الحقيقة، اقول لك سرّاً ان كثيرين قد اشتركوا في تأليفها. ولا بد من الانتظار طويلاً لكي نشاهدها على المسرح. وبما أن جميع المؤلفين والممثلين الهزليّين يعتبرون موليار كألدّ أخصامهم، فقد اتحّدنا كلنا لنبدي فيه رأينا الصريح الذي

لن يرضيه. وكل واحد منا قد رسم قسماً من صورته بدون أن تُذكَر اسماؤنا على عملنا هذا. وسيُعتبر شرفاً عظيماً في نظر الناس، ان يكون سقوطه على يد امثالنا من أهل الفن. ولكي نجعل فشله ذريعاً، أصررنا على اختيار مؤلف لا شهرة له ونسبناها اليه.

الآنسة دي بازْك : « انا من جهتي أُعلن ان سروري في هذه المناسبة ليس له حدود.

موليار : « وانا ايضاً. اذ لا بد من أن يقع الساحر يوماً في قبضة ساخر أمرّ منه، كما أن الظالم لا بد له من أن يُبلى بأظلم. وأنا واثق بأن خصمكم سينال جزاء ما جنت يداه، بدون شك.

الآنسة دي بازْك : « هكذا سيتعلّم صاحبنا كيف يهجو ويمسخ كل ما تقع عليه عينه. كيف يريد هذا الوقح أن يعتبر المرأة خالية من كل نباهة ؟ وهو يدين كل تعابيرنا اللبقة ويدّعي ان جميع أحاديثنا نحن النساء لا تتّسم بأي سموّ.

الآنسة دي بري : « الحديث ليس المهمّ، لأنه يهشّم تعلّقنا بالعواطف مهما كانت بريئة، وبالطريقة التي يتكلّم عنها يُستنتج ان الجدارة هي في نظره جريمة لا تغتفر.

الآنسة دي كروازي : « هذا في الواقع تحامل لا يطاق. إذ لا يتسنى هكذا لامرأة ان تأتي بعمل جليل، بدون أن تضطر الى فتح عينيها وأخذ الحذر حتى ممّا تطمح اليه من الانجازات النبيلة.

بيجار : « هذا لا يزال مقبولاً بالنسبة الى مهاجمة النساء الخيّرات اللواتي يخلع عليهن اسم الجنّيات الشريفات.

الآنسة موليار : « هو متطاول وقح، وعليه أن ينال عقابه.

الآنسة دي كروازي : « تمثيل هذه الهزلية، يا سيدتي، يحتاج الى مساندة. وممثّلوا قصر ...

الآنسة دي بري : « يا الهي. عليهم أن لا يخشوا سوءاً. فأنا أضمن لهم نجاح مسرحيتهم حتى بالدفاع عنها بواسطة السلاح الأبيض، اذا اقتضى الأمر.

الآنسة موليار : الحق الى جانبك، يا سيدتي. هناك جمهور غفير يهمه أمرها،

وسيجدها رائعة. اني أدَع لكم أن تتصوروا كيف سيغتنم الفرصة جميع من هزأ بهم موليار لكي ينتقموا منه في هذه المناسبة مبتهجين لدى مشاهدتهم الهزلية المذكورة.

بريكور (بلهجة ساخرة) : بدون شك. وأنا أتكفّل لكم بتأمين اثني عشر مركيزاً وستة متفلسفات وعشرين غادة متدلّعة وثلاثين رجلاً خدعتهم زوجاتهم، لن يتردد أحدٌ منهم في التصفيق تشفّياً وإعجاباً بهذا الهجوم على موليار الذي طالما تعرّض لهم بالقدح والذمّ.

الآنسة موليار : « فعلاً، لماذا السخرية من جميع هؤلاء الأشخاص الى حدّ إهانتهم، ولا سيما من خدعتهم زوجاتهم، ومع أنهم من خيرة الرجال.

موليار : « بذمّتي، قيل لي أن مهاجميه ينوون تحطيمه هو ومجمل هزلياته، كما يستحق، وان الممثلين والمؤلفين من موقع الأرز الشامخ الى زاوية أصغر شجيرة مهملة، هم متحمسون حتى الهوى للإنتقام منه.

الآنسة موليار : « حقاً، هو يستحق أكثر من ذلك. لماذا يكتب مسرحيات خبيثة ليعرضها على أهالي باريس، وفيها يرسم صوراً نادرة يرى كل فرد وجهه فيها ؟ لماذا لا يؤلف مسرحيات مثل التي يكتبها السيد ليزيداس مثلاً ؟ لماذا لا يمتنع عن الاستفزاز فلا يكسب الاعداء، وهكذا يثني عليه لفيف المؤلفين ؟ لا أنكر ان مثل هذه الهزليات لا تستقطب اهتمام معظم المشاهدين، لكنها في المقابل تكون عادة مكتوبةً بصورة لائقة مرضية، فلا يهاجمها احد، ويتمنى كل من شاهدها ان يعاود حضورها للتمتع بروعة أحداثها وطليّ حديثها.

دي كروازي : « وهكذا، أشكر الله على أني لا أجد حولي من أخصام في هذا الميدان، فتحظى جميع مؤلفاتي باستحسان كافة العلماء.

الآنسة موليار : « اراك مسروراً بتصرفاتك ». وهذا في نظري افضل من كل تصفيقات الجمهور وكل الأموال التي تدرّها مسرحيات موليار على كاتبها المذكور. ماذا يفيدك إقبال الجمهور على هزلياتك ؟ المهمّ أن تنال رضى زملائك حضرات الكتّاب.

لاكرانج : « أرجو أن تقول لي متى ستُمثّل مسرحية « صُورة الرسّام » ؟

الآنسة دي كروازي : « لست أدري. غير أني استعدّ لأن أكون في طليعة من يهتفون لها : « هذا بديع رائع ».

موليار : « وانا كذلك.

لاكرائج : « وقاني الله من كل شرّ. وأنا ايضاً مستعدّ للهتاف بهذا المعنى.

الآنسة دي بارْك : « أما أنا فإني مستعدة ايضاً للدفاع شخصيّاً عنها بكل ما أوتيت من قوّة. وسأعلن استحساني على رؤوس الاشهاد لكي ابدّد غيمة انتقادات مناوئيه. وهذا أقل ما يجب علينا أن نقوم به من تشجيع لاستدرار كل مديح انتقاماً وصوناً لكرامتنا ومصالحنا.

الآنسة موليار : « هذا قول سديد مفحم.

الآنسة دي بري : « وهذا ما يتحتّم علينا جميعاً أن نكرره على الدوام.

بيجار : « بدون أدنى شكّ.

الآنسة دي كروازي : « بكل تأكيد.

الآنسة هرْفي : لا رحمة ولا شفقة تجوز على من يقصد تهشيم الشخصيات ومَسْخها.

موليار : « بذمّتي، يا صديقي الفارس، لا بد لموليار من الاختباء.

بريكور : « من ؟ هو ؟ أعدك، أيها المركيز، بأنه بالعكس سيتقصد الذهاب الى المسرح ليضحك مع سائر الضاحكين ويسخر من الصورة المخزية التي ستُرسَم له.

موليار : « أؤكد لكم أنه سيضحك. ولكن ضحكة هزلية للغاية.

بريكور : « لا، ربما وجد سبيلاً للضحك أكثر مما تتخيّل. لقد تصفّحت التمثيلية ولاحظت أن ما يعجب فيها هي الأفكار المأخوذة من مسرحيات موليار بذاته. وأعتقد أن السرور الذي ستدخله على قلوب المشاهدين سيشمل الجميع بدون استثناء، لا سيما بسبب المقاطع التي ترمي الى النيل من مقدرته على الهزء بذوي النقائص والمباذل. وأكون خالياً من كل ادراك، إذا لم تتبيّن للجميع صحة هذا الرأي. لأن الأشخاص الذين حاول أن يسخر من معايبهم هم الذين سيهاجمونه قبل سواهم انتقاماً لما ابرزه فيهم من سخافات وتفاهات

رغم كل براعته في فنّ تصوير معالمهم في الآن ذاته كرجال مرموقين في مجتمعهم.

لاكرانج : « لقد ابلغني الممثلون انهم ينتظرون ردّه، وانهم ...

بريكور : « ردّه ؟ سيكون في نظري، أغبى المعتوهين اذ تنازل وردّ على تطاولهم ». والجميع يعلمون اي دافع يحملهم على المبادرة الى ردّة الفعل هذه. وعندي، أن أفضل جواب يلقمهم اياه موليار لقاء تهجّمهم على نبوغه هو السكوت التام. لأن هذه الهزلية الساخرة ستنجح كعدد كبير من سابقاتها. وهذا سيكون حتماً خير وسيلة لانتقامه كما يجب من تطاولاتهم. وبما أني ادرى من سواي بمزاجاتهم فكلّي ثقة بأن هذه المسرحية ستحرمهم من جمهور غفير يزعجه التندّر به هو بطلهم الساخر، كما يروق لهم قدحه وذمّه بالشخصيات التي يتضايقون من تبجحاتهم.

موليار : « لكن، ايها الفارس ... ».

بيجار : اسمح لي ان اوقف مراجعة هذه الأدوّار. هُنَيْهةً. (لموليار) هل تريد أن أقول لك كلمة. لو كنت مكانك لدفعت الامور باتّجاه آخر. فالجميع يترقّبون منك ردّاً عنيفاً. وحسب ما بلغني، انك عُوملْتَ بقساوة في هذه الهزلية، مع أنك محقّ بإفراغ جعبتك في انتقاد الممثلين بدون أن توقّر أو توفّر أحداً منهم.

موليار : انا مستاء جداً من كلامك هذا الذي استغربه منك، بل منكنّ انتنّ النساء، تجاهي بوجه الاجمال. تريدين أنتِ أن احنق على منتقديّ، وان اصبّ عليهم جام غضبي، وانهال عليهم بالشتائم والسباب، كما فعلوا هم بي. وهذا أقصى ما يرضي كرامتي المُهانة، وجل ما أقابلهم به من تحقير واذلال. لأنهم بدأوا هم بمهاجمتي على هذا النحو. واذا ظلّوا مصمّمين على تقديم مسرحية « صورة الرسام » بدون أن يخشوا أي ردّ من قبلي، أظنهم يستعدّون للاجابة على كل من يعارضهم، ويقول : « دعوه يرشقنا بجميع الشتائم التي وجهناها نحن اليه، ويكفينا ان نربح ما نرغب فيه من مال » هذا لعمري ينافي اي شعور بالخجل من تصرفات بذيئة كهذه، ولن أنتقم لتهجّمهم على شخصي بعد أن

أغدقت عليهم ما يستحقونه من تحقير كانوا متأهّبين لتقبله وعدم الاعتراض عليه.

الآنسة دي بري : لا يَبْرحْ من بالك أنهم على كل حال إشتكوا من ثلاث أو أربع عبارات قارسة رشقتهم بها في مسرحيتك « الانتقاد »، وفي مسرحيتك الأخرى « المتفلسفات ».

موليار : هذا صحيح. ان الجمل الثلاث أو الأربع كانت قاسية جداً، ولهم ملء الحقّ ان يذكروها. لكن حقيقة الأمر ليست كذلك. لأن الاهانة الكبرى التي وجهتها اليهم تكمن في كوني نلت إعجاب المشاهدين اكثر ممّا كنت اترقّب. وكل وسائلهم منذ قدومنا الى باريس قد أكّدت ما ألْصقته بهم من أوصاف مزعجة. دعيهم يتصرفوا على هواهم فمساعيهم كلها لا تقلقني ابداً. هم ينتقدون مسرحياتي، وهذا من حسن حظي أنا اذ يقول الشاعر : « واذا أتتْك مذمتي من ناقص، فهي الشهادة بأني كامل » وانا أسأل الله ان يعينني على أن لا أقْدِم على ما يرضيهم. لأن أحجامي سيكون حتماً في غير صالحي.

الآنسة دي بري : على كل حال لا يسرنا أن تُمزِّق هذه المسرحيات وترميها في سلة المهملات.

موليار : هذا لا يهمّني مطلقاً. أوَلم الاقي بهزليتي كل النجاح الذي تمنّيته ؟ وقد جاءت انتقاداتهم غير المجدية بحقّي متأخرة جداً. فأرجوك أن تبيّني لي إن كان هذا قد أثّر على كتاباتي. وما قيمة التهجّم على مسرحيّتي التي نالت كل هذا النجاح والإعجاب ؟ أوَلا يطال تنديدهم حُكْم الذين أثنوا عليها أكثر مما يطال من ألّفها ؟

الآنسة دي بري : بذمّتي، كم كنت أودّ تمثيل دور هذا المؤلف الصغير الذي يكتب مسرحياته الكبيرة عن أشخاص لا يفكرون به.

موليار : انت متحمّسة جداً. الموضوع الذي يسلّي جماعة الحاشية الملكية هو دور السيد بورسو. فكم أودّ أن أعرف كيف يمكن هؤلاء النقّاد ان ينصفوا مثل هذا الانسان المبتذل المتطاول ليجعلوه طيّعاً مقبولاً. واذا اطنبوا بمدحه على المسرح، لا بدّ من يسخر منهم جمهور المشاهدين، بل سيناله الشرف العظيم اذا قام احد الممثلين بتقليده امام حضور كريم كهذا. وهو شخصياً لا

يتمنى افضل من نجاحي هذا حين يهاجمني بأقصى قواه لينال الحظوة في أعين المشاهدين. أؤكد لكم أن هذا الانسان ليس لديه ما يخسره، وان الممثلين لم يستفزوا ثورة غضبه إلّا لكي يزجّوا بي في هذا الصراع غير المتكافئ ويثنوني بهذه الحيلة المصطنعة عن كتابة باقي المسرحيات التي صمّمت على تأليفها على غرار سابقاتها طبعاً. مع ذلك أراكم مقصّرين عاجزين عنَ دفعي الى مواجهة هذه التحدّيات. أخيراً سأضطر الى اعلان موقفي المشرّف على الملأ. أنا لا ادّعي اني سأردّ على انتقاداتهم وانعكاس انتقاداتهم. سأدَعُهم يوجّهون كل الانتقادات الممكنة الى هزلياتي بملء رضاي. يسعهم أن يتناولوها بالتجريح وان يخلعوا تطاولاتهم كثوب فضفاض على مسرحياتهم، ويحاولوا الاستفادة من بعض ما اتمتّع به من الامتيازات التي يسرّهم أن يحتكروها، وانا أتنازل لهم عنها بطيبة خاطر، لأنهم بحاجة ماسّة اليها، ويروق لهم أن أُساهم بما يسدّ رمقهم، بشرط أن يكتفوا بما أمنحهم اياه بلباقة. لأن المسايرة يجب أن لا تتعدّى حدود المعقول. ولأن هناك اموراً لا تضحك المشاهدين ولا من يدور الكلام عليهم من الشخصيات. وانا مستعدّ لأن اترك لهم مسرحياتي وتهكماتي وحركاتي واقوالي ونبرة صوتي وطريقة إلقائي حتى يتمكّنوا من القول والعمل كما يحلو لهم، اذا كان لهم في ذلك بعض النفع والفائدة. فأنا لا أعارض هذه الوسائل التي لا يسعهم أن ينسجموا فيها، ويبهجني أن يُرضي هذا الانتحال كل المشاهدين. لكني لقاء التنازل لهم عن كل ما ذكرت، أسألهم أن يتركوا لي الباقي، ولا يمسّوا بصورة طبيعية تلك القضايا الهامة التي تخصّني والتي ألمحوا لي الى أنهم سيهاجمونها في هزلياتهم. هذا ما ألْتمسه من ذلك الرجل الشهم الكريم الذي يتعاطى كتابة مسرحياتهم. وهذا كل الجواب الذي سيتلّقونه مني.

بيجار : لكن، في النهاية ...

موليار : اخيراً، ستدفعونني الى حافة الجنون. دعونا نقفْ هنا، ولا نُضِعْ وقتنا سدىً بالتحدّث اكثر ممّا فعلنا، ونحن نتلهّى بإلقاء الخُطَب بدَلاً من ان نراجع ادوار هزليتنا. إلى أين وصلنا عندما توقّفنا ؟

الآنسة دي بري : لقد وصلت الى المكان ...

موليار : يا الهي. أنا اسمع ضجة. هذا هو الملك قد اقبل بدون شك. وأرى اننا لن نستطيع التملّص من هذا المأزق. هذه نوتيجة التلهّي بما لا لزوم له. فأرجوكم أن تنصرفوا بأفضل ما يمكن من الطرق المفيدة.

بيجار : بذمّتي، أنا قلقة وخائفة، ولا أعرف كيف سأؤدّي دوري، اذا لم اراجعْه بكامله.

موليار : ماذا تقولين ؟ الا تعرفين كيف تؤدّين دورك ؟

بيجار : كلا.

الآنسة دي بارْك : ولا أنا.

الآنسة دي بري : ولا أنا ايضاً.

الآنسة موليار : وانا كذلك.

الآنسة هرْفي : وانا ايضاً.

الآنسة دي كروازي : وانا أيضاً وأيضاً.

موليار : ماذا يسعكم اذاً أن تفعلوا ؟ هل تسخرون جميعكم مني ؟

المشهد السادس

بيجار، وموليار، الخ.

بيجار : جئت أعلمكم، يا سادتي، ان الملك وصل، وإنه ينتظر منا ان نبدأ.

موليار : ها أنا الآن، يا سادتي أجدني في أحرج مأزق واجهته في حياتي. أنا لا أمل لي بالخروج من هذه الورطة سالم الكرامة. لأن هؤلاء النساء الخائفات يُعلنَّ لي أنهن لا يزلن بحاجة الى مراجعة ادوارهن قبل مباشرة تأديتها بعد لحظة. ألْتمس منكنّ أن تصبرن عليّ برهة. فالملك طيّب القلب رحب الصدر ويعلم أنه استعجلنا في تلبية طلبه. (يخرج بيجار) أرجوك أن تثوب الى رشدك، وان تعتصم بحبل الشجاعة.

الآنسة دي بارْك : لا بد لك من أن تذهب وتعتذر عن عدم الامكانية.

موليار : كيف تطلبين مني أن أعتذر ؟

المشهد السابع

موليار، والآنسة بيجار، الخ. وخادم.

احد الخدم : ارجوكم، يا سادتي، أن تبدأوا بالتمثيل.
موليار : بعد لحظة، يا سيدي. (على حدة) سأفقد عقلي بسبب هذه المعضلة و ...

المشهد الثامن

موليار، والآنسة بيجار، الخ وخادم آخر.

خادم آخر : أرجوكم، يا سادتي، ان تباشروا اذاً.
موليار : بعد هنيهة، يا سيدي. (لرفاقه) والآن ما العمل ؟ هل تريدون أن تلحقوا بي العار ؟

المشهد التاسع

موليار، والآنسة بيجار الخ. وخادم ثالث.

خادم ثالث : الرجاء، يا سادتي، ان تبدأوا حالاً.
موليار : نعم، يا سيدي. سنباشر فوراً (على حدة). كم رسول جاء يستحثنا على البدء بقوله : « باشروا اذاً »، ربّما بدون أمر الملك.

المشهد العاشر

موليار، والآنسة بيجار الخ. وخادم رابع.

خادم رابع : ارجوكم، يا سادتي، ان تبدأوا بدون مزيد من التأخير ...
موليار : ها نحن سنبدأ، يا سيدي. (لرفاقه) بربّكم، ما العمل ؟ هل تريدون أن أغرق في البلبلة والفوضى ؟

المشهد الحادي عشر

بيجار، وموليار الخ.

موليار : أتيت تطلب منا أن نبدأ، ولكن ...
بيجار : لا، يا سيدي، جئت لأعلمك بأننا أخبرنا الملك بحيرتنا والمأزق الحرج الذي نتخبّط فيه. وهو لطيبة قلبه الفائقة قَبِل بتأجيل تقديم هزليتك الجديدة الى مناسبة أخرى، ويكتفي اليوم بما تستطيع أن تقدّمه له إرتجالياً.
موليار : أشكرك، يا سيدي، فقد رددت الى الحياة. لقد جاد الملك علينا الآن بأفضل منّة إذْ منحنا الوقت الضروري الذي نتمناه للاستعداد كما يجب. وها نحن ذاهبون كلنا لنشكر عطفه السامي علينا وتلطّفه وتفهّمه وضعنا العسير بسبب ضيق الوقت.

(تمّت)